مجلة الشرق الأوسط للنشر العلمي
المجلد (٧) العدد (٤)
الإصدار الرابع والعشرون
٢٠٢٤ (١٤-١)

الحِجاجُ بين الاستدلالِ والاقناع "حجةُ التَمثيلِ نَموذجا"

م.م. سحر أحمد راضي

قسم معلم الصفوف الأولى، كلية التربية الأساسي، جامعة ذي قار

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١١ نوفمبر ٢٠٢٤م

الملخص

يعد الحجاج فعالية جدلية تداولية يبحث في دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي بالعقول إلى التسليم بما يعرض عليها من اطروحات وأفكار، عن طريق تحقيق الاقتناع والعمل في ضوء ذلك الاقتناع، إذ يؤخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، والاشتراك الجماعي في إنشاء معرفة عملية إنشاء موجَّهاً قدر الحاجة، والبحث الموسوم بـ (الحِجاجُ بين الاستدلال والاقناع-حجةُ التَمثيلِ نَموذجاً) يبحث في الكيفية التي يتم فيها تحقيق الاقتناع عن طريق التمثيل. وتكمن أهمية البحث في دراسته لآلية تحقيق الاقتناع الذي يقع بين الاستدلال من جهة، والاقناع من جهة أخرى؛ إذ يرتبط الحجاج بالاستدلال من جهة طبيعة الأمثلة والحجج المقدمة؛ فالاستدلال قائم على أساس عقلي، والنص الحجاجي قائم على البرهنة وفق نظام تترابط فيه العناصر بنسق تفاعلي وتهدف إلى غاية مشتركة، ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس؛ فلو أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صوره؛ وجدناه ترتيباً عقلياً للعناصر اللغوية يستجيب لنية الاقناع. وتكمن علاقة الحجاج بالإقناع؛ بطريقة عرض الحجج وتقنياتها، إذ يشترط فيه البينة التي تكون بمنزلة الدليل الذي بلغ درجة الوضوح؛ فيصير معها المتوسل؛ قادراً على الظهور على خصمه، كما لو كان هذا الدليل الظاهر مستغنياً بظهوره عن جانب الاستدلال فيه. واعتُمِدَ الاسلوبُ الوصفي التحليلي كمنهج لدراسة البحث.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الاستدلال، البرهنة، التقنيات الحجاجية، الاقتناع.

Abstract

Argumentation is a dialectical, pragmatic activity. It studies the techniques of speech that force minds to accept the theses and ideas presented to them. That is happen by achieving conviction and working in the light of that conviction, taking into account the requirements of the situation in terms of shared

knowledge, informational demands, circumstantial orientations, and collective participation in creating practical knowledge in a directed way as needed. The paper entitled (Argumentation Between Deduction and Conviction -The Argument of Representation as an Example) examines how conviction is achieved through representation.

The importance of the study lies in fact that the research studies the mechanism of achieving conviction, which lies between deduction on the one hand, and persuasion on the other hand. The argumentation is correlated to deduction in terms of the nature of the examples and arguments presented. Deduction is grounded on a rational basis, and the argumentative text is based on verification according to a system in which the elements are linked in an interactive way and aim to a common goal. The way to this system is primarily linguistic. If we analyze the argumentative text to its simplest form, we will find it (text) a mental arrangement of linguistic elements that responds to the intention of persuasion. The relationship between argumentation and persuasion lies in the way that arguments and their techniques are presented, because argumentation requires proof which similar to evidence that has reached the level of clarity. By this level of clarity, the entreating becomes able to overcome his opponent, as if this clear defeat was independent of the aspect deduction in it. For studying the research, the author has used the descriptive analytical method.

Keywords: argumentation, deduction, proof, argumentative techniques, conviction.

*** المقدمة**

تكمن غاية الحجاج في تحقيق الاقتناع دون الحمل على الاقناع، عبر إحداث التأثير العملي الذي يمهد له التأثير الذهني؛ فهو فعالية تداولية جدلية ذات طابع فكري واجتماعي مقامي؛ كونه يأخذ بعين الاعتبار أحوال المخاطبين والمقام الذي قيل فيه النص، فهو يربط بين الاستدلال من جهة والاقناع من جهة ثانية، إلاّ إنّ الاستدلال الحجاجي غير قائم على المنطق، وإنما هو استدلال طبيعي يبنى على مقدمات افتراضية من صنع المتكلم، مراعياً فيها المقامات وأحوال المتخاطبين، كما أنّ نتائجه ليست يقينية، فهو عملية عقلية ينتقل فيها الفكر من أشياء مسلم بصحتها إلى أشياء أخرى نابجة عنها بالضرورة، وتكون جديدة عن الأولى. أما الاقناع فيأتي من توسل الحجاج بالأساليب الخطابية البلاغية، ويبنى على اقتراحات سابقة بشأن عناصر السياق خصوصاً المرسل إليه، والخطابات السابقة، والخطابات المتوقعة.

وقَسمت هذه الدراسة على مبحثين سبقهما تمهيد بحث في آلية تحقيق الاقتناع، ودرس المبحث الأول: تحقيق الاقتناع بين الاستدلال والاقناع، فيما درس المبحث الثاني:

الوظيفة الاستدلالية والإقناعية للتمثيل، معتمداً المنهج الوصفي التحليلي، وختم بخاتمة ضمت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

*** التمهيد**

***كيف يكون الحمل على الإذعان وتحقيق الاقتناع؟**

يبحث الحجاج في دراسة وتحليل تقنيات الخطاب التي يمكن أن تؤدي بالأذهان الى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم؛ فالحجاج الناجح هو الذي يجعل العقول تسلّم له، أو تزيد في درجة ذلك التسليم، بشكل يبعث السامعين على العمل المطلوب إنجازه أو الامتناع عنه، أو هو ما وفّق على الاقّل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة[١].

*** كيف يحصل الاقتناع، والحمل على الإذعان؟**

الحجاج فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي؛ إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة عملية إنشاء موجَّهاً قدر الحاجة[٢]، ويراعى في ذلك أمرين[٣]:

١- **القصد**: فهو الذي يحدد مجال التخاطب، ويحدد طبيعة المخاطبين الذين يريد المتكلم التأثير فيهم باحتجاجه؛ إذ قد يتسع مجال المخاطبين ابتداء من المتكلم نفسه – حين يحاول إقناع نفسه بقضية ما-انتهاء بالناس جميعاً.

٢- **المقام**: إذ يجب على المتكلم التركيز على معايير الأولوية فيما يتعلق بعلاقة المخاطبين مع المقام والموضوع معاً، ويكون أكثر تأثيراً كلما استثمر حقائق فعلية وأحداثاً معينة لا يشك المخاطبون في ثبوتيتها المرجعية، ويتمثل المقام تارة بالإطار المحدد للخطاب المستوعب لكل محتويات العملية الإبداعية ولكل المشاركين فيها، وتارة أخرى يتمثل بتلك المقدمات ذات النظام العام التي تساعد المبدعين في بناء الحجج وترتيب القيم.

وهو جدلي أيضاً؛ لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة؛ فالمستدل يثبت دعواه من خلال آليات استدلالية غير صورية وهي الآليات الحجاجية، لما تتميز به من فعالية جدلية تخرج عن صرامة البرهان وحسابيته الآلية من خلال أخذها بالتفاضل والتراتب، وأحياناً بالتناقض الذي لا يخرج عن حدود العقل ولكن يحصل بسببه الاقناع، عكس البرهان الذي قد يستوي دليله ولا يحصل معه بالضرورة اقتناع المخاطب[٤].

فالاستدلال هنا قائم على أساس عقلي (لأن النص الحجاجي نص قائم على البرهنة وفق نظام تترابط فيه العناصر بنسق تفاعلي وتهدف إلى غاية مشتركة ومفتاح هذا النظام لساني بالأساس؛ فاذا أعدنا النص الحجاجي الى أبسط صورة وجدناه ترتيباً عقلياً للعناصر اللغوية يستجيب لنية الاقناع) [٥]. وتكمن علاقة الحجاج بالبرهنة على طبيعة الأمثلة والحجج المقدمة، وتختلف عنها في المضمون؛ فالبرهان الاستدلالي لا ينقل من المقدمات إلى النتيجة خاصية موضوعية كالحقيقة مثلاً كما هو الحال في البرهنة الرياضية، وإنما يسعى من أجل الموافقة التي تحظى بها المقدمات إلى النتيجة مرتبطة بجمهور معين، ويتم الوصول إلى نفس النتائج في نظام شكلي منسجم، بينما في العملية البرهانية الحجاجية؛ تتم بمواجهة عقول متوقدة ميالة إلى فحص الأمور عن كثب،[٦] ففي الحجاج ننطلق من الحجة (التي هي دليل يقدم لصالح أطروحة ما أو ضدها) [٧] لنقابل بينها وبين البرهان، ففي البرهان تكون الحجة خادمة له لإثبات قضية أو دحضها

ويمكن تسميتها بالحجة البرهانية، والسامع في هذه الحالة يكون مدرك لنتيجة القضية المقدمة، أما في الحجاج فيبرهن له عن صحتها، أو تكون في ذهنه نتيجة أخرى لنفس القضية؛ فيبرهن على صحة نتيجته) [٨].

والحجاج مثلما هو ليس موضوعياً محضاً، فإنّه ليس ذاتياً محضاً، أي هو ليس إقناعاً؛ لأنّ الاقناع يكون بمخاطبة الخيال والعاطفة، ممّا لا يدع مجالاً لإعمال العقل ولحرية الاختيار، وهذا ليس موضوع الحجاج؛ فالإذعان فيه يكون بواسطة الاقتناع، وفرق ما بين الاقناع والاقتناع؛ فالمرء (في حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة، أما في حالة الاقناع فان الغير هم الذين يقنعونه دائماً) [٩]. وتكمن علاقته بالإقناع؛ بالكشف عن طريقة عرض الحجج وتقنياته؛ فالإقناع هو الوجه الغائم للحجاج ومرادفه الاخر، وهو ما به يحاول الانسان إقناع نفسه، في حين إنّ الحجاج هو ما به يحاول إقناع الاخر [١٠]، ويشترط في الاقناع البينة التي تكون (فيه بمنزلة الدليل الذي بلغ درجة الوضوح؛ فيصير معها المتوسل به قادراً على الظهور على خصمه، كما لو كان هذا الدليل الظاهر مستغنياً بظهوره عن جانب الاستدلال فيه) [١١].

*** المبحث الأول: تحقيق الاقتناع بين الاستدلال والاقناع**

لما كانت غاية الحجاج هي إحداث التأثير العملي الناتج عن التصورات العقلية المقدمة؛ ذلك إنّ الفكرة التي تَطرح للنقاش تحمل أبعاداً ذهنية عقلية وأخرى حسية، وتتضافر هذه الابعاد بفعل مستوى الخطيب وإمكانات المقام؛ لكي تدفع المعنيين بالخطاب إلى العمل والانجاز لاحقاً أو على الأقل تهيئهم للعمل[١٢]؛ الامر الذي اقتضى معه توسل الحجاج بأسلوب الخطابة لتحقيق هذه الابعاد؛ لتزداد درجة التسليم بالمدعو إلى إنجازه؛ اذ لما كانت وجهة الحجاج مستقبلية؛ كانت الغاية منه أن يؤدي إلى حصول عمل ما أو الاعداد له، ويكون ذلك بالتأثير في الذهن بواسطة الوسائل الخطابية[١٣]، وأهم نوع من أنواع الخطابة الذي يشتمل على هذا النوع من التأثير هو الخطب البرهانية؛ كونها تزيد درجة التسلّيم لبعض القيم؛ عبر الاستعانة بمجمل الوسائل التي تهيئها لها الخطابة لكي تضخم تلك القيم وتعظّمها، وتساعد على جعل الجمهور يقاسم الخطيب آراءه ومشاعره؛ الامر الذي جعل تحقيق الاقتناع يقع بين الاستدلال من ناحية وبين الاقناع من ناحية أخرى[١٤].

ويأتي ارتباط الحجاج بالخطابة؛ كونه يتوسل بأساليبها البلاغية لإحداث التأثير الذهني، ولم يكن لهذا الارتباط أن ينشأ لولا إنّ البلاغة في أصلها نشأت في أحضان الخطابة، وما تتميز به من مراعاة للمقام والمتخاطبين، ومحاولة التأثير فيهم بأساليب لغوية وتقنيات استدلالية تدفعهم إلى الاقتناع بكلام الخطيب[١٥].

فلما كان مجال الحجاج هو المحتمل، وغير المؤكد والمتوقع؛ كان من مصلحة الخطاب الحجاجي إن يقوي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية البيانية التي تَظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس[١٦]؛ فالبلاغة أداة من أدوات الحجاج؛ لاعتمادها الاستمالة والتأثير عبر استخدام الصورة البيانية؛ أي إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معاً، حتى يتقبل القضية أو الفعل موضوع الخطاب[١٧].

واستعمال تقنيات البلاغة في عملية الفهم والإقناع؛ يكون ببناء وتصور تفاعلي بين الذات المتكلمة والمخاطبين، فهي (الإبلاغ المؤثر تأثيراً من شأنه تحقيق الإقناع والاستمالة) [١٨].

كما أنّ اتجاه البلاغة صوب الوضوح والابانة عن المعنى؛ يعطي للخطاب الحجاجي وظيفة إقناعيه، (عبر ما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل؛ فاذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية؛ تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه؛ أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب؛ أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي معين، ومن ثمة توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها له؛ فالجمال يرفد العملية الاقناعية وييسر على المتكلم ما يريده من نفاذ إلى عوالم المتلقي الفكرية والشعورية والفعل فيها)[١٩].

وتنطلق البلاغة من مسلمة مفادها أن المعنى يحصل بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، وإذا كان الكلام كل ما يتلفظ به المتكلم لبلوغ غاية معينة، كان موضوع البلاغة تحليل ما يشتغل عليه القول من اعتبارات مقامية، هذا يعني إنّ الكلام لا ينفصل عن المقام، وكلما تغير المقام اقتضى ذلك تغييراً في موضوع الكلام وطريقته واسلوبه. والعلاقة التي تجمع بين الكلام ومقتضى الحال تسمى (لزوماً)؛ فما يوجد في قول معين من خصائص دلالية وتركيبية انما كان ذلك[٢٠] (دليلاً على افتراضات مقامية تخاطبيه استوجبت أن تكون البنية اللفظية المعنوية على هذه الصورة أو تلك)[٢١]؛ أي أننا نستدل بالمقام على معرفة خصائص الكلام؛ ولأنّ الاستدلال (طلب معرفة الشيء من جهة غيره)؛ جعل البلاغيون ينطلقون من معنيين اثنين في تقسيمهم للكلام، أحدهما يقتضي حصول الآخر، يسمى الأول (حقيقةً)، ويسمى الثاني (مجازاً) لان إدراك معاني الالفاظ والعبارات في أصل وضعها يكشف ضروب الانزياح والعدول عنها والانتقال بها إلى أغراض أخرى[٢٢].

ولما كانت قواعد التداول اللغوي تقتضي أن يسهم المخاطب مع المتكلم في انتاج الخطاب، وجب أن تكون عملية الاستدلال مشتركة بين المتكلم والمخاطب، فقد يُدخل المتكلم في الكلام ما ليس للمخاطب علم به ويقوم هو الآخَر مستدلاً بكلام الأول بتفسير وتأويل ذلك الخطاب وفقاً للمعلومات المشتركة بينهما[٢٣].

وبهذا يمكن أن تَعد أقوال المتكلم (مقدمات) اقتضت من المخاطب تفسيراً وتأويلاً يستلزم حكماً معيناً على ما تم تلفظ المتكلم به، وهذه القواعد تشكل عملية التخاطب الصحيحة بين المتحاورين، وأي خلل أو خرق يقع على أحدها من قبل المتكلم وجب على الآخر أن يصرف كلام محاوره عن معناه الظاهري إلى معنى آخر خفي اقتضاه المقام، وهذا المعنى إنما كان عن طريق الاستدلال بالمعنى الظاهر على الخفي؛ فعملية الاستدلال تقع أساساً من جهة المخاطب الذي يقوم بتفكيك عناصر دالة متعددة تعتبر مقدمات لكل ما أراد القائل تبليغه[٢٤].

فمن مميزات وخصائص الاستدلال الحجاجي احتواؤه على مقدمات لا يشترط التصريح بها كاملة، كما لا يمكن صياغتها وفق نموذج علمي صارم، وهي مقدمات ظنية افتراضية قابلة للمناقشة ونتائجها بعيدة عن اليقين[٢٥].

وإذا كانت اللغات الصورية تهتم بشكل وصور الاستدلال، فالحجاج يجمع بين الصور الاستدلالية ومضامينها، وقد تكون للحجة الواحدة نتائج عديدة، كما إنّ المحاجج قد ينطلق من مقدمة واحدة ليبني بها استدلاله على عكس الاستدلال المنطقي الذي يتطلب مقدمتين، تَستنبط منها بالضرورة نتائج واحدة وغير مرتبطة بالمقام[٢٦]، فالاستدلال الحجاجي استدلال طبيعي يبنى على مقدمات

افتراضية هي من صنع المتكلم أو المحاجج، مراعياً فيها المقامات وأحوال المتخاطبين، وهو عملية مشتركة بين المتكلم والمخاطب، كما أنّ نتائجه ليست يقينية، فهو عملية عقلية ينتقل فيها الفكر من أشياء مسلم بصحتها إلى أشياء أخرى ناتجة عنها بالضرورة وتكون جديدة عن الأولى، وقد يكون الاستدلال استنتاجياً ويسمى استنباطاً، أو استقرائياً ويسمى استقراء، أو يسمى الاستدلال من مقدمة واحدة استدلالاً مباشراً، ومن مقدمتين استدلالاً قياسياً)[٢٧].

إذن الاستدلال آلية لإنتاج المعرفة وبناء الخطاب، ومنهج يسلكه العقل السليم لبناء معارفه ونقلها في قالب يخضع لقواعد وقوانين تضمن تبليغ فحوى تلك المعارف وتحقيق الفائدة، ولأنه آلية وظفت لإنتاج المعارف في اللغة الطبيعية اكسبه هذا الامر صفات عديدة فقد أصبح ينعت بـ (الاستدلال التداولي)؛ كونه يراعي مقامات الكلام وأحوال المتخاطبين، ويكسر قواعد الأقيسة المنطقية وقوانينها، وينعت (بالاستدلال الحجاجي)؛ كونه يسعى الى التأثير والاقناع[٢٨].

إنّ اعتماد الحجاج على التقنيات الاستدلالية إنما هدفه (الاقناع)، وهو استراتيجية تعتمدها الخطابات لإحداث تغيرات في الأفكار أو توجيهها، ويبنى الاقناع على (اقتراحات سابقة بشأن عناصر السياق خصوصاً المرسل إليه، والخطابات السابقة، والخطابات المتوقعة)؛ لأنه أحيانا قد لا يتوصل إلى الغرض الأصلي من القول الذي يخرج عن معناه الحقيقي فتتسع قوته اللزومية إلى حد يعجز المتلقي على الإحاطة به، وكل هذا من أجل إدراك المقاصد الحقيقية للمخاطب[٢٩].

وبناء عليه فإنّ الحجاج أقرب إلى الخطابة منه إلى الجدل؛ ذلك إنّ حد الجدل القياس المؤلف من مقدمات مشهورة بين الناس لا يختلفون فيها، كما إنّ مداره على النظر المحض، في حين إنّ الخطابة همها الأساسي هو العمل الذي يمارسه الخطاب على الجمهور. والغاية من التقريب بين الحجاج والخطابة أن نَلح على أنّه لا حجاج بدون وجود جمهور يرمي الخطاب إلى جعله يقتنع ويسلّم ويصادق على ما يعرض عليه، ولكن هذا لا يعني أنّ الحجاج هو الخطابة ذاتها، وإنما الحجاج غير الخطابة فهو يختلف عنها من جهتين[٣٠]:

١- نوع الجمهور: فلئن كان جمهور الخطابة مقتصر على الجماعة المجتمعة في الساحة تستمع إلى الخطيب، فإنّ جمهور الحجاج يمكن أن يكون حاضراً أو غائباً، كما يمكن أن يكون منشأ الحجاج بين شخصين اثنين متحاورين أو بين المرء ونفسه.

٢- نوع الخطاب: فلئن حصرت الخطابة فيما هو شفوي، فإنّ الخطاب الحجاجي يمكن أن يكون منطوقاً، كما يمكن أن يكون مكتوباً.

*** المبحث الثاني: الوظيفةُ الا ستدلاليةُ والإقناعيةُ للتَمثيل**

لما كان مجال الحجاج هو المحتمل، والمتوقع؛ اقتضى الامر الاعتماد على الصورة البيانية؛ لإظهار المعنى بصورة أجلى وأوقع في النفس[٣١]؛ فالصورة (هي أن تشاهد الشيء على هيئة شيء آخر)[٣٢]، أو (هي الشيء الملموس معبراً عنه في اللغة)[٣٣]، وقد وصف هذا التعبير بأنّه (تعبير استبدالي يقوم فيه الشيء المشاهدَ أو الملموس، أي الصورة بديلاً عن الفكرة أو المعنى، سواء جاء هذا التعبير للكشف عن كوامن نفس المتكلم أو لمجرد الإمتاع أو للتأثير والمحاجة والاقناع)[٣٤]. وقد اهتم القدماء ببعدي الصورة، من حيث هي تأثير في الوجدان وإقناع للفكر، كما ربطوا بين بنية الصورة بوصفها استبدالاً، وبين وظيفتها من حيث هي للتأثير والاقناع.

فالصورة من حيث بنيتها قائمة على المجاز الذي يعوض الحقيقة دون أنّ ينتج عن عملية التعويض هذه تغيير في المعنى الحقيقي، وإنما يتغير الشكل الذي قدُّم فيه ذلك المعنى تقديماً عُدلَ فيه عن المادة المعنوية إلى التصوير والتقديم الحسي، ومعنى هذَا إنّ الصورة عندهم قائمة على الاستبدال سواء كان منشأ الصورة الاستعارة أو التشبيه أو التمثيل[٣٥].

ويكشف عن وجه الاستبدال للصورة طريقة الزمخشري في دراسته للتمثيل في الآية:﴿ ولَو شئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ولَكنَّه أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ واتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُه كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِين كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴿١٧٦﴾[٣٦]؛ فوضع قَولَه: فمثله كمثل الكلب موضع حططناه أبلغ حطّ لان الغرض هو تمثيله بالكلب في أخس احواله وأذلها)[٣٧].

وبناء عليه يمكن القول إنّ كل تشبيه أو تمثيل هو صورة جاءت تعوض مفهوماً أو معنى حقيقياً؛ إذ يعوض به كلام آخر أضيق منه معنى وأقل منه شيوعاً وذيوعاً بين الناس لعلاقة المشابهة بين الوضعين، الوضع الأول الذي ينشأ عنه المثل، والوضع الثاني الذي استدعى التمثيل بذلك المثل[٣٨].

إما من حيث الوظيفة، فلما كانت الصورة تعويض للمعنى أو المفهوم وتصويره، وتقديمه تقديماً حسياً؛ كانت الغاية منه تبليغ ذلك المعنى في أحسن صورة وجعل المتلقين يقتنعون به من خلال الصورة الحسية التي يظهر عليها ويخرج فيها[٣٩].

حيث يتم فيها الانتقال من معنى ظاهر إلى معنى آخر ضمني، ويقول الجرجاني في هذا: (إنّ الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تُخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد، وبالانطلاق عن عمرو، فقلت: عمرو منطلق، وعلى هذا القياس، وضرب آخر انت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضي موضوعه في اللغة؛ ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الامر على الكناية والتمثيل)[٤٠].

يتبين من ذلك إنّ هنالك ضربين من الدلالة: الأولى دلالة وضعية مباشرة غرضها الإخبار والإفادة في أمرها على سبيل الحقيقة، وأخرى هي دلالة عقلية لا تَدرك إلا بانتقال الذهن من الدلالة المباشرة للفظ إلى دلالة مجازية تفيد الغرض المطلوب[٤١].

وتَعد عملية الانتقال من أمر معروف إلى آخر مجهول عملية استدلالية كان يدرك الجرجاني حقيقتها، حيث نجده في نص من نصوصه يصرح بها فيقول: (في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره ثم يعقل السامع من المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك)[٤٢].

وقد ربط القدماء بين الاستبدال والاستدلال في الصورة، وأشار الجرجاني إلى وظيفة الاستدلال في التمثيل بقوله: (طريق العلم بما يراد إثباته والخبر به في هذه الاجناس الثلاثة التي هي الكناية والاستعارة والتمثيل، المعقول دون اللفظ من حيث يكون القصد بالإثبات فيها إلى معنى ليس هو معنى اللفظ، ولكنه معنى يستدل بمعنى اللفظ عليه ويستنبط منه)[٤٣].

فالتمثيل آلية خصبة لإنتاج الأفكار وتحقيق الاقناع، وينهض بهذه الوظيفة؛ كونه شكلاً من أشكال البرهنة التي تقوم على التأمل؛ لأنّه يصل بين المتباعدات[٤٤]؛ عندما

يبث في الذهن تكاملاً رؤيوياً يعمل على إقناعنا بالفكرة بعملية استبطان ما هو خارج النص اللغوي؛ فيدخل الفهم إلى مجال الحجاج عن طريق العقد الاجتماعي المتفق عليه في الوسط البشري؛ وعلى هذا الأساس يكتسب التمثيل سلطته من قدرته على الاسكات؛ اذ لا يمكن فرع ما يعاكسه؛ لأنّه يسوق المسلمات عند الجميع، ويؤكد الاثباتات في النهاية؛ ليدعم بها كل التصورات التي يريد المرسل من المتلقي أن يعتقد بها[٤٥].

وتعد آليات التمثيل من أوسع الطرق الاستدلالية استعمالاً، وأشدها في الخطابات الإنسانية تأثيراً؛ كونه (يزيد في الكلام معنى يدل على صحته ذكر مثال له)؛ فهو أقرب وسيلة للإيضاح والابانة، وأقرب وسيلة لتقريب البعيد من المعاني، والاستدلال بالتمثيل بوساطة استثمار الصور والحكايات أو ما هو رمزي لتبليغ بعض الأفكار؛ إنما يقوم على نقل الحقيقة المتعلقة بحالة خاصة إلى حالة خاصة أخرى بالاعتماد على معايير التشابه والتماثل، وما يرتبط بينهما من علاقة تناظر بين عناصر أو بنيات تنتمي لعوالم مختلفة، تستحوذ على المشترك وتجعله مصدراً للحقيقية، ضمن منظومة تضع التمثيل موضع الهوية التي منها تحصل على النتائج، وهذه النتائج يحصل عليها المتلقي بفعل التمثيل وجدارته في الاستدلال الذي يترشح من العلاقة بين الطرفين (المثل والمثيل) وهي علاقة غير مصطنعة، وإنما موجودة في الأصل والتمثيل يقوم بدمجها وإعادة تمثلها عن طريق المقارنة التي تحمل المعنى الذي نريد ايضاحه[٤٦]، بمعنى (أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر، يجري مجرى الاستشهاد والحجة على صحته)[٤٧].

ويتحدث الجرجاني عن مواقع التمثيل وتأثيره فيقول: (واعلم إنّ ممّا اتفق العقلاء عليه إنّ التمثيل اذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونَقلت عن صورها الاصلية إلى صورته؛ كساها أبهة وكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً، فإن كان مدحاً كان أبهي وأفخم... وإن كان ذماً كان مسه أوجع وميسمه ألذع... واذا كان حجاجاً كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر...)[٤٨].

أما وظيفة الاقناع فتأتي من طريق الحضور، ويعلّق الجرجاني على ذلك قائلاً:(لو أنّ رجلاً أراد أن يضرب لك مثلاً في تنافي الشيئين فقال: هذا وذاك هل يجتمعان؟ وأشار إلى ماء ونار حاضرين، وجدت لتمثيله من التأثير ما لا تجده إذا أخبرك بالقول فقال: هل يجتمع الماء والنار؟ وذلك الذي تفعله المشاهدة من التحريك للنفس، والذي يجب بها من تمكّن المعنى في القلب إذا كانت مستفادة من العيان، ومتصرفة حيث تتصرف العيان)[٤٩].

***الخاتمة: توصل البحث إلى النتائج الآتية:-**

١- يعدّ الحجاج فعالية تداولية جدلية، ويظهر وجه التداول فيه؛ كون طابعه فكري مقامي واجتماعي؛ إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء معرفة عملية إنشاء موجَّهاً قدر الحاجة.

٢- والحجاج جدلي؛ لان هدفه إقناعي قائم على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة.

٣- إنّ مجال الحجاج هو المحتمل، وغير المتوقع، لذلك حتى يقوى طرحه اعتمد على الأساليب البلاغية البيانية التي تَظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس؛ أي إقناع المتلقي عن

طريق إشباع فكره ومشاعره معاً، حتى يتقبل القضية أو الفعل موضوع الخطاب.

٤- إنّ تحقيق الاقتناع في الحجاج يقع بين الاستدلال والاقناع، وتكمن علاقته بالاستدلال على طبيعة الأمثلة والحجج المقدمة؛ فالاستدلال قائم على أساس عقلي، والنص الحجاجي قائم على البرهنة وفق نظام تترابط فيه العناصر بنسق تفاعلي وتهدف إلى غاية مشتركة. وتكمن علاقة الحجاج بالإقناع؛ بطريقة عرض الحجج وتقنياتها، إذ يشترط فيه البينة التي تكون بمنزلة الدليل الذي بلغ درجة الوضوح؛ فيصير معها المتوسل؛ قادراً على الظهور على خصمه، كما لو كان هذا الدليل الظاهر مستغنياً بظهوره عن جانب الاستدلال فيه.

إنّ الهدف من الحجاج بالتمثيل؛ لأنّه آلية خصبة لإنتاج الأفكار وتحقيق الاقناع، وينهض بهذه الوظيفة؛ كونه شكلاً من أشكال البرهنة التي تقوم على التأمل؛ لأنّه يصل بين المتباعدات؛ فيدخل الفهم إلى مجال الحجاج عن طريق العقد الاجتماعي المتفق عليه في الوسط البشري؛ وعلى هذا الأساس يكتسب التمثيل سلطته من قدرته على الاسكات؛ إذ لا يمكن فرع ما يعاكسه؛ لأنّه يسوق المسلمات عند الجميع، ويؤكد الاثباتات في النهاية؛ ليدعم بها كل التصورات التي يريد المرسل من المتلقي أن يعتقد بها.

*** المراجع**

أولاً- المراجع العربية

ينظر: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس: ٢٩٩، وتاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، وجيل جوتيه، ترجمة: مُحَمَّد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط١، ٢٠١١: ٤٥-٤٦، والحجاج مفهومه ومجالاته-دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج٢، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتاب الحديث، اربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠: ٢٨-٢٩.

ينظر: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، العدد ٢، المجلد ٤٠، أكتوبر-ديسمبر، ٢٠١١: ٧٤.

الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية الى القرن الثاني الحديث، ط١، ٢٠٠٨: ٢٧.

ينظر: خطاب الحجاج والتداولية-دراسة في نتاج ابن باديس الادبي، عباس حشاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤، ط١: ٦٢.

النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، مُحَمَّد طروس، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥:

ينظر: التداولية والحجاج-مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨: ٦٨.

ينظر: في نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات، عبدالله صولة، مسكيلياني، تونس، ط١، ٢٠١١: ١٤-١٥.

ينظر: خطاب الحجاج والتداولية: ٧٦.

اللسان الميزان أو التكوثر العقلي: طه عبد الرحمن: ط١، ١٩٩٨، المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب: ١٣٦.

ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة -بحث في بلاغة النقد المعاصر، مُحَمَّد سالم مُحَمَّد الأمين الطلبة، دار الكتاب

الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٨: ١٠٩.

الحجاج مفهومه ومجالاته-دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، حافظ اسماعيلي علوي، ج٢، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠: ١٧٨.

ينظر: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله: ٨٢.

ينظر: اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي-تنظير وتطبيق على السور المكية، مثنى كاظم صادق، منشورات ضفاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٥: ٤٨.

البلاغة والاتصال: جميل عبد المجيد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠٠٠: ١٢٩.

ينظر: الحجاج في الشعر العربي:١٢٠.

ينظر: الاستدلال وأثره في توجيه التفكير النحوي والبلاغي، خديجة كلاتمة، مخبر اللسانيات واللغة العربية، العدد الاول، ديسمبر، ٢٠١٣، جامعة مُحَمَّد خضير بسكرة: ٢٠٢.

ينظر: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسان الباهي، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٤: ٩٧.

ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب: ١٠٦.

ينظر: استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤: ٤٤٤.

ينظر: الاستدلال وأثره في توجيه التفكير النحوي والبلاغي: ٢٠٥.

بلاغة الاقناع-دراسة نظرية تطبيقية، عبد العالي قادا، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٦: ١٦٠.

ينظر: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله: ٧٥.

ينظر: الاستدلال وأثره في توجيه التفكير النحوي والبلاغي: ٢٠٧. .

بلاغة الاقناع في المناظرة (مقاربة فكرية)، عادل عبد اللطيف، منشورات ضفاف، ط١، ٢٠١٣، بيروت، لبنان:٨٣.

الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط١/ ٢٠٠١: ٤٨١.

الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، الولي مُحَمَّد، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠: ١٩.

اسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١، ٢٠٨.

بلاغة الاقناع – دراسة نظرية تطبيقية: ٨٦.

اسرار البلاغة: ٢١٠.

دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، دار المنار، مصر، ط٥، ١٩٨١: ٥٤-٥٥.

التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦: ٣٤.

اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: ١٦٦-١٦٧.

الحجاج في التواصل، فيليب بروطون، ترجمة: مُحَمَّد مشبال، وعبد الواحد التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣: ١٢٦-١٢٧.

القرآن الكريم.

الولي مُحَمَّد، الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠.

جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠٠٠.

حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته-دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج٢، عالم الكتاب الحديث، اربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠.

حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٤.

حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، كلية الآداب منوبة، تونس.

حمو النقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦.

سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة -بنيته واساليبه، عالم الكتاب الحديث، ط١، ٢٠٠٨.

صابر الحباشة، التداولية والحجاج-مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨.

١طه عبد الرحمن، اللسان الميزان أو التكوثر العقلي، ط١، ١٩٩٨، المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب.

طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

عادل عبد اللطيف بلاغة الاقناع في المناظرة (مقاربة فكرية)، منشورات ضفاف، ط١، ٢٠١٣، بيروت، لبنان.

عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية-دراسة في نتاج ابن باديس الادبي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤، ط١.

عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

عبد الله صولة، في نظرية الحجاج-دراسات وتطبيقات، مسكيلياني، تونس، ط١، ٢٠١١.

عبد العالي قادا بلاغة الاقناع-دراسة نظرية تطبيقية، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٦.

عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١.

عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، دار المنار، مصر، ط٥، ١٩٨١.

عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤.

فيليب بروتون، وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: مُحَمَّد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ط١، ٢٠١١.

فيليب بروطون، الحجاج في التوصل، ترجمة: مُحَمَّد مشبال، وعبد الواحد التهامي، المركز القوي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣.

مثنى كاظم صادق، اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي-تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات ضفاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٥.

مُحَمَّد سالم مُحَمَّد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٨.

مُحَمَّد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥.

رضوان الرقبي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، العدد ٢، المجلد ٤٠، أكتوبر-ديسمبر، ٢٠١١.

خديجة كلاتمة، الاستدلال وأثره في توجيه التفكير النحوي والبلاغي، مخبر اللسانيات واللغة العربية، العدد الاول، ديسمبر، ٢٠١٣، جامعة مُحَمَّد خضير بسكرة.

ثانياً- المراجع الأجنبية

The Holy Qur'an

Al-Wali Muhammad, The Poetic Image in Rhetorical and Critical Discourse, Arabic Cultural Center, Beirut, Casablanca, 1st ed., 1990.

Jamil Abdul Majeed, Rhetoric and Communication, Dar Ghareeb for Printing, Publishing and Distribution, Egypt, 1st ed., 2000.

Hafez Ismaili Alawi, Argumentation: Its Notion and Fields - Theoretical and Applied Studies in New Rhetoric, 2nd part, The world of modern book, Irbid, Jordan, 1st ed., 2010.

Hassan Al-Bahi, Dialogue and Critical Thinking Methodology, East Africa, Morocco, 2004.

Hammadi Samoud, The Most Important Theories of Argumentation in Western Traditions from Aristotle till now, Faculty of Arts, Manouba, Tunisia.

Hamou Al-Naqari, Argumentation: Its Nature, Fields and Functions, Faculty of Arts and Humanities in Rabat, Al-Najah New Printing Press-Casablanca, 1st ed., 2006.

Samia Al-Duraidi, Argumentation in Arabic Poetry from the Pre-Islamic Era to the Second Century AH - Its Structure and styles, The world of modern book. 1st ed., 2008.

Saber Al-Habasha, Pragmatics and Argumentation - Introduction and Texts, Pages for Studies and Publishing, Damascus, 1st ed., 2008.

Taha Abdul Rahman, The Balanced Tongue or Intellectual Multiplication, 1st ed., 1998,

Abdul-Qaher Al-Jurjani, Evidences of Miracles, Dar Al-Manar, Egypt, 5th ed., 1981.

Abdul-Hadi bin Dhafer Al-Shahri, Discourse Strategies (A Pragmatic Linguistic Approach), Dar Al-Kitab Al-Jadida Al-Muttahida, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2004.

Philippe Breton and Gilles Gautier, The History of Argumentation Theories, translated by: Muhammad Salih Nahi Al-Ghamdi, Scientific Publishing Center, King Abdulaziz University, Jeddah, 1st ed., 2011.

Philippe Breton, Argumentation in communication, translated by: Muhammad Mishbal, and Abdul Wahid Al-Tihami, The National Center for Translation, Cairo, 1st ed., 2013.

Muthanna Kadhim Sadiq, The Stylistics of Pragmatic and Rhetorical Argumentation - Theorizing and application to Meccan surahs, Dafaf Publications, Algeria, 1st ed., 2015.

Muhammad Salem Muhammad Al-Amin Al-Talaba, Argumentation in Contemporary Rhetoric - A Moroccan Cultural Center, Casablanca, Morocco.

Taha Abdul Rahman, Fundamentals of Dialogue and Renewal of Theology, The Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco.

Adel Abdul Latif, Rhetoric of Persuasion in Debate (An Intellectual Approach), Dafaf Publications, 1st ed., 2013, Beirut, Lebanon.

Abbas Hashani, Argumentation Discourse and Pragmatics - A Study of Ibn Badis's Literary Production, Modern world of books, Jordan, 1st ed., 2014.

Abdullah Soula, Al-Hajjaj in the Qur'an through its most important stylistic characteristics, Dar Al-Farabi, Beirut, 1st ed., 2001.

Abdullah Soula, In the Theory of Argumentation - Studies and Practices, Meskeliani, Tunis, 1st ed. 2011..

Abdul-Aali Qada, Rhetoric of Persuasion - A Theoretical and Applied Study, Kunuz Al-Ma'rifa for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 1st ed., 2016.

Abdul-Qaher Al-Jurjani, Secrets of Rhetoric, Dar Al-Ma'rifa, Beirut, 1981.

Study in the Rhetoric of Contemporary Criticism, Dar Al-Kitab Al-Jadeeda Al-Muttahida, Beirut-Lebanon, 1st ed., 2008.

Muhammad Tarous, Argumentation Theory through Rhetorical, Logical and Linguistic Studies, Dar Al Thaqafa, Casablanca, 1st ed., 2005.

Radwan Al-Raqbi, Pragmatic Argumentative deduction and its Mechanisms of Operation, Alam Al-Fikr Magazine, Issue 2, Volume 40, October-December, 2011.

Khadija Kalatma, Deduction and its effect on guiding grammatical and rhetorical thinking, Linguistics and Arabic Language Laboratory, First Issue, December 2013, University of Mohamed Khedhir Biskra.